مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 30، جانفي 2022، ص - ص: 799 - 808
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المُنجز الفِكري والإصْلاحِي في آثَار الشيخ "أبو عبد الله محمد بن بِكر الفُرسطائِي النفوسي"

The intellectual and reformistachievement in the effects of Chikh" Abou Abdellah Mohammed "Ben Beker El- Forstai El- Nafosi

د/ مليكة بن قومار
كلية الآداب واللغات – جامعة غرداية
مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري
benkoumar.malika@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإرسال: 2020/12/14 تاريخ القبول: 2021/04/15

الملخص:

إن البحث في الحركة الفكرية والإصلاحية في الجزائر وخاصة لدى الشيوخ المسلمين الجزائريين يعرف اهتماما كبيرا وواسعا لما شغله من حيّز في مختلف المجالات الفكرية والدينية والتنظيمية، كونه يمثل فاعلا أساسيا في المجتمع الجزائـــري، فبزغ في سماء الجزائر علماء كثر في الإصلاح وسطعوا في عقول الجزائرييـــن، وأعطوا فأخلصوا العطاء، ورسخوا مبادئ الإسلام في نفوس الناس وأرشدوهم إلى السبيل الأمثل، فكرًا وخلقًا وسلوكًا، ومن بين هؤلاء الشيخ "أبو عبدالله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي" أحد أقطاب الإباضية في المغرب العربي، ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين، مؤسس حلقة العزابة المشهورة في المغرب العربي، وعالم فذ من علماء ورجلان، أصله من فرسطاء بنفوسة، وهو من الشخصيات الثرية بجهودها وأعمالها الإصلاحية لإيمانها الراسخ بالحفاظ على المقومات الشخصية لمستواها الفكري والعلمي، فقد كرَّس كل وقته وفكره دفاعا على اللغة والدين والوطن، وبناء على هذا أدرنا أن يكون عنوان مداخلتنا هاته، وقفة حول أهم المنجزات الفكرية والإصلاحية لهذا الشيخ الإصلاحي في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: نظام العزابة؛ الشيخ محمد بن بكر الفرسطائي؛ الفكر؛ الإصلاح.

Abstract:

Making a research in the intellectual and the reformal movement in Algeria, especially the elder Algerian Muslims, tahes a great and an extensive concern , it ploys a big interresting role in different domaine intellectual, religious and

Organizational ones, whiche is the main item in the Algerian society. Algeria give a birth to many sientist of reforms, thy raise anarenes .and established the Islam principles in the Algerian hearts and brains, they guide them to the berfect way, mentally, creativity and behaviour, Among them Chikh "Abou Abdallah Mohammed ben Baker el-Ferstai el-Nafosi" he is one of the most famons sientist of the "I badi" in Morocco, he is religious and social reformers, he created "the Azzaba circle" ,Known in the great Maghreh

Chikh "Abou Abdallah Mohammed ben Baker el-Ferstai el-Nafosi" is wargelan's sientist his origins is versta in N'fossa.

He was known with his reform worhs to presave the personal qualities to its intellectual and scientific level, he devoted all his time and thought to defend the language, religion and homeland.

Key words: System The Azzaba; Mohammed ben Baker el-Ferstai el-Nafosi; Thought; Reformation.

مقدّمة:

لا يستطيع المتحدث عن تاريخ الإباضية في شمال افريقيا أن يغفل عن نظام العزابة وأثره، وماله من فضل في جمع كلمتهم وحفظ كيانهم الاجتماعي من الزيغ، والابتعاد عن نهج الإسلام، وهو الحافز القوي على تكوين حركة دؤوب تتجلى فيها سمات التعاون والتآزر والتوجيه بين تلك المجتمعات ولقد أنشأ على يد مؤسسه الشيخ الإمام "محمد بن بكر الفرسطائي (رحمه الله) سنة (440هـ/1048م)، ليحفظ كيان هذا المجتمع، ويقوم بمهمة التوجيه والإصلاح ويتماشى مع حالة الكتمان، نظام يشمل النواحي الاجتماعية دون أن يمس بالجانب السياسي تاركا هذا الجانب لمن يتولى شؤون السياسة أو يتغلَّب عليها[1].

إنّ هذا النظام يستمد روحه، ويصدرُ في سيره وتنظيمه عن الشريعة الإسلامية ومقاصدها، يقول الدّكتور محمد صالح ناصر: "وهيئة العزّابة هي الهيئة العليا في البلد على الإطلاق، لها النّفوذ الروحي على المجتمع الإباضي والسلطة المطلقة في كل ما له علاقة بالدين، أو هي في عبارة موجزة: الهيئة الشّرعيّة الحاكمة القائمة مقام الإمامة العظمى في مرحلة الكتمان.

إنّ هذه الهيمنة على المجتمع، والتحكم في تسييره من هيئة معيّنة مسؤولية دينيّة، تتبنى التوجيه الموحد، الذي هو من روح الإسلام، والذي يتوخى الوحدويّة والانسجام في كل شيء: في المبادئ، في الأهداف، في المقاصد في التّصوّر ...كما هو ترتيب استراتيجي ومنهجي، يرمي إلى ضمان التعليم والتّكوين الصحيحين، والتّوجيه الحسن المنسجم مع الأصول والمبادئ، والمتناغم مع الأهداف. من هنا يتّضح البعد الرّوحي لهذا التّنظيم.

ولذلك نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن دور نظام العزابة وما ركز عليه من أجل بناء ورسم شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المزابي، ومن هنا تتبلور الإشكاليات الآتية: ماذا تعني كلمة العزّابة؟ من هو مؤسس نظام العزابة؟ ماهي أهم إنجازاته الفكرية والإصلاحية في هذه الحلقة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات حاولنا في الأول التعريف بنظام العَّزابة، ثم انتقلنا إلى نشأته وأهميته، وكذا إلى عدد أعضائه والمهام التي يقوم بها كل عضو منها، بعد ذلك عرجنا للتعريف بمؤسس هذا النظام في المجتمع والوقوف على أهم الإنجازات الفكرية والإصلاحية التي قام بها وأسس عليها هذا النظام.

أما منهج البحث فسوف يكون وصفيا استقرائيا من آثار الشيخ الإمام "محمد بن بكر الفرسطائي"، وأهم المؤلفات التي تحدثت عن تاريخ المجتمع المزابي والأنظمة الاجتماعية والسياسية التي تحكمه.

كما يهدف هذا البحث إلى الكشف عن جزء من الجهود الفكرية والإصلاحية والدينية التي قام بها بعض الأئمة الجزائريون والتي لا تزال مجالا خصبا للباحثين، كما يرمي إلى إبراز سر النجاح في استنهاض صف الأمة الجزائرية المسلمة والحفاظ على عقيدتها واستقرار مجتمعاتها.

1- مفهوم العزابة:

أ- لغــة: أصل كلمة العَّزابة في اللغة من فعل عزبَ يعزبُ، فهو عازبٌ ويجمع على عُزابْ، وتفيد معنى تغيب الإنسان عن أهله أو ماله أو متاعه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ

ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ ولاَ فِي السَّمَاءَ ولاَ أَصغَرَ مِن ذَلِكَ ولا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61]، كما يطلق اللفظ على من لا زوج له[2].

ب- اصطلاحا: اشتقت كلمة عزابة من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه، والعزابة بمعنى العزلة والغربة ونقول أحدهما عزابيّ من العزوب، وهو البعد عن زخارف الدنيا ومغرياتها، والاتّجاه إلى الآخرة بخدمة الصالح العام، ومن أهم شروط اختيار العزابي الاستقامة دينا وخلقا حفظ القرآن، عمارة المسجد ومجالس الذكر النظافة الحسية والمعنوية القدرة على العمل في سبيل المصلحة العامّة، التضحية في سبيل خدمة المجتمع[3].

وقد عرَّفه "أبو العبَّاس الدرجيني"* بقوله: «العزابَّة واحدهم عزابِّي، هذه اللفظة استعملتها لقبا لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها، فإن أحسن جميع هذه الصفات سمي عزابيا ... وأعْلَم أن لهذا الصنف سيمات انفردوا بها، وأحوالا عرفوا بها، لا يتفضَّل عليهم فيها سواهم، وذلك في تسميتهم وخطابهم، ومأكلهم، ولباسهم وأوقات نومهم وقيامهم، وأورادهم وصيامهم، وعبادتهم، وعندهم في ذلك قوانين يعتادونها وحدود لا يتعدَّونها، وهذا الاسم مشتق من العزوب عن الشَّيء وهو البعد عنه، فاستعير لمن بعد من الأمور الدُّنيوية الشَّاغلة عن الآخرة... وأوَّل ما استُعمِل هذا اللقبُ كان في أيَّام "أبي عبد الله محمَّد بن أبي بكر (رضي الله عنه)"، لما أسَّس الحلقة ورتَّب قوانينها»[4].

وبهذا فمصطلح العزّابة عني الانقطاع إلى الله، والعمل له بإخلاص من دون البحث عن أي جزاء ولا شكور، إلا ما عند الله من الأجر والثّواب، هذا الانقطاع ليس اعتزالاً عن الدّنيا والزّهد فيها كليّة ونّما هو التّفرّغ لخدمة المجتمع من دون انقطاع، وعدم طلب ما في الدّنيا من متاع، مقابل هذا الابتياع.

إن الاسم الذي اتسمّت به هذه الهيئة يكشف عن البعد الرّوحي الذي تشتمل عليه ويُفصِح عن العمل الكبير والنّبيل الذي يقوم به من ينضمّ إلى هذه الهيئة، ويظهر الجانب الإيجابي في العمل ضمن هذا التّنظيم، الذي يدعو إلى تحمّل ثلّة من عباد الله مسؤولية السهر على شؤون المسلمين، والقيام بتوجيههم وإرشادِهم وتوفير أسباب التّفقّه في الدين لهم، والأخذ بأيديهم إلى ما يصلح دينهم ودنياهم. هذه المهمّة تتطلّب بذل جهود كبيرة في هذا السّبيل، يكون على حساب بعض المتطلّبات الشّخصيّة من أمور الحياة، لكن من دون العزوف عن الدنيا كلية[5].

2- نشأة وأهمية نظام العزابة:

أصل نظام حلقة العَّزابة مستمدٌّ من السياسة الشرعية التي ترى وجوب تنصيب الإمام وإقامة الدولة الإسلامية لتطبيق أحكام الشرع وتنظيم شؤون الرعية، وقد تميز الإباضيَّة بنظرية دقيقة حول المنهج الذي ينبغي سلوكه لإقامة دين الله في المجتمع، عُرفت هذه النظرية عندهم بمسالك الدين، أي مراحل إقامة دين الله في المجتمع وهي أربعة: الظهور، الدفاع، الشراء، الكتمان[6]، ويقوم نظام الإمامة عندهم على الشورى في مرحلة الظهور، ويعُّد نظام العَّزابة في مرحلة الكتمان بمثابة مجلس الشورى في فترة الظهور[7].

كان نظام حلقة العَّزابة في بدايته نظام حلقة علم متنقلة تمثلت في مجالس المذاكرة والعلم والاستفتاء والعبادة ولم تكن مستقرة بمكان معين وقد عُرف عن "أبي عبد الله" أنه كان كثير التجوال، ينتقل من بلد لآخر ناشرا للعلم حتى لقب بـ: "السائح"، لكثرة سياحته ثم عَرَف هذا النِّظام تطورات مطَّردة وفق ما

تقتضيه الحياة وتغيُّراتُها. ويعدُّ نظام الحلقة بمثابة الإمامة الصغرى عند الإباضيَّة، حيث يتولَّى العلماء تسييره وقد عُني بإدارة شؤون المجتمع، ونشر العلم والدِّين بين أتباعه بتحقيق الحق ومحاربة الباطل وإقامة العدل بين الرعية وتكوين.

مجتمع إسلامي متوازن، كما أنَّ له مهاما متعددة؛ دينية، واجتماعية، وتربوية وسياسية، واقتصادية، تمكن النظام أن يقود المجتمع الإباضي، بنجاح ويتمتع بسلطة روحيَّة وعملِّية ويُكِسب احترام قراراته، وبفضل ذلك استطاع الإباضيَّة البقاء في بلاد المغرب رغم ظروف الفتن والاضطراب[8].

يتكون مجلس العزابة غالبا من اثني عشر عضوا هم بحسب وظائفهم كالتالي:

- شيخ الحلقة: يقوم بالوعظ والتذكير ويعلن الولاية والبراءة.
- إمام الصلاة: يؤم الجماعة ويشرف على عقود الزواج في المسجد.
- المؤذن: يؤذن للصلاة وينوب الإمام عند غيابه.
- وكيلا المسجد: يشرفان على أملاك المسجد وأوقافه.
- مقرئو المحاضرة: يشرفون على المحاضرات.
- خمسة أعضاء يتولون غسل الموتى وتكفينهم ودفنهم.
- قاضي البلد: يفصل في النوازل والنزاعات[9].

3- مؤسس نظام العزابة:

هو "أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النَّفوسي" ولد بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة، شرقي مدينة كَبَاو من مديرية الحرابة التابعة للالوت سنة (345ه/956م) أحد أقطاب الإبَاضِيَّة في المغرب ومن أبرز المصلحين الدينيين والاجتماعيين. وصفه الدرجيني بقولـــه: «هو الطود الذي تضاءلت دونه الأطواد، والبحر الذي لا تقاس به الثماد، وهو خضمٌّ عظيم من جلائل السير والآثار».

أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه فرسطا، ثمَّ تنقَّل بين عدَّة مدن للاستزادة من الفنون على يد أكابر العلماء في زمانه في كل من: القيروان، وجربة، والحامة ففي الأولى نهل من معين اللغة العربية وعلوم الآلة، وفي الثانية ارتوى من علوم الشريعة عند الشيخ" أبي زكرياء فصيل بن أبي مِسوَر" بالجامع الكبير، وفي الحامَّة عند شيخه "أبي نوح سعيد ابن زنغيل"، فكان من تلاميذه المتقدِّمين كما يذكر "الوسياني" في سيره.

سافر بعدها إلى قصطيلية بحثا عن الشيخ" أبي عمران موسى بن زكرياء" ليأخذ عنه الفقه والفروع، إلاَّ أنَّ وفداً من جربة اضطرُّوه إلى التحوُّل من مرحلة التعلُّم إلى مرحلة التعليم وتأسيس حلقة العزَّابة.

تميَّز "أبو عبد الله" بتأسيسه لنظام هو الآية بين النظم الاجتماعية القديمة والحديثة نظام حلقة العزَّابة أطنبت المصادر في ذكر تفاصيل تأسيس هذا النظام، فقد كانت المبادرة لوفد من طلبة جربة، التقوا بالشيخ وهو في طريقه إلى قصطيلية - وبلَّغوا إليه وصية شيخهم، وشيخه - من قبل – "أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور" بأن يطلبوا منه تأسيس حلقة للعلم، فأبى أوَّل الأمر وبعد إصرارهم وإلحاحهم الشديد لم يتركوا له بدًّا من القبول فاشترط عليهم مهلة أربعة أشهر ليرتِّب فيها نظاماً محكماً ودقيقا للتسيير الحسن للحلقة فوافقوا وساعده في التنظير والتخطيط أستاذه" فصيل بن أبي مسور"،

ولذلك عرف هذا النظام بـ «لسيرة المسورية البكرية»، ثمَّ شرع في تطبيق مبادئ هذا النظام في أوَّل حلقة له بغار في «تين يسل» ، وهي بَلْدَة اَعْمَر بالقرب من مدينة تقرت - جنوب شرق الجزائر حالياً -وذلك سنة (409ه/ 1018م)، وإلى هذا التاريخ نسب هذا الغار، وسمي بـ: «الغار التسعي» وقد حُفر وجهِّز ونظِّم خصيصا لهذا الغرض.

لم يحصر "أبو عبد الله" هدفه في مجرَّد التعليم الديني النظري فحسب وإنَّما سعى إلى غرس مبادئ الإسلام في طلبته على أنَّه منهج حياة، لا فصل فيه بين العلم والعمل ولا بين النصِّ والواقع . ولذلك كان الشيخ كثير السفر مع طلبته في المغرب الإسلامي من نفوسة شرقاً إلى وادي ميزاب غرباً، يتعلَّمون ويعلِّمون الناس أمر دينهم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ونذكر من بين المناطق الكثيرة التي استقرَّ فيها بحلقته :تين يسلي قصطالية طرابلس، لماية جربة، تفاجالت، وادي أريغ، وغلانة، قنطرارة، وارجلان، ولهذا عرف الشيخ عند العامة ب :"سيدي محمَّد السايح"[10].

والشيخ الإمام" محمد بن بكر" لم يخص بعنايته ونظامه هذا بلدا معينا فقد كان (رحمه الله) يعنى بتكوين الطلاب من شتى الجهات، ثمَّ يرسلهم إلى مواطنهم لتأسيس حلقات العزابة ومشاركتهم فيها بأنفسهم، ولا ينسى فضل منطقة "جربة" في هذا الموضوع فقد كان عالمها المجاهد الشيخ" فصيل بن أبي مسور" المتوفى سنة 440 ه تقريبا أول المتحمسين له والملحين على إبرازه إلى الوجود وذلك عندما بعث ابنيه "زكرياء ويونس" وابن أخته من جربة إلى "أبي عبد الله محمد بن بكر "وهو في بلاد الجريد يوصيهم بملازمته وأن يلحوا عليه أن يسن نظاما يتماشى وحالة الكتمان[11].

وقد مثّل نظام العزابة الإباضي الذي يتجلى في هياكل النفوذ المحلي أهل جزيرة جربة خلال العصر الحديث. وكان لهذا التنظيم مؤسساته الخاصة المميزة والموزعة بين المسجد والحومة والإقليم والطائفة، وفي المنطقة بأكملها، بل إن جانبًا منه يمتدّ خارجها حيث توجد مجموعات منها في شتات في مجال الإمبراطورية العثمانية وغيرها حول البحر الأبيض المتوسط فأصبحت مكانة المساجد تستجيب لهذا التنظيم الهرمي، فكانت لجماعة الحومة مساجد لاجتماعاتها وكذلك تفعل جماعة الإقليم والطائفة وهكذا دواليك، المهمّ هو أنه كان لهياكل النفوذ الإباضية حرية التحرك لامتلاك الأوقاف المحبوسة شفويًا والتصرف فيها وفقًا لقوانين وعادات وأعراف خاصة، وإنه ليس في نيتنا التوقف عند المماثلة القائمة بين التنظيم الإباضي والتنظيم لدى يهود "جربة" لكن نشير فقط إلى أن هؤلاء توخّوا نفس المنهج المعتمد لدى أولئك؛ إذ عاش يهود "جربة" (يهود الحارة الصغيرة لاحقًا) في حالة تغليب كاملة بالنسبة إلى المنظومة المحلية الإباضية في الجزيرة[12].

3-1- انجازاته الفكرية والإصلاحية: لقد عمل الشيخ على ترسيخ العديد من المبادئ الفكرية والإصلاحية في مجتمعه من أهمها:

- بناؤه لمسجد فرسطا ولا تزال آثاره باقية للعيان، وإسكاته لفتنة الفرقة السكاكية، التي سعى لإشعالها "أباد الله السكَّاك".
- إصلاح قبيلة بني ورزمار.
- إقناع سكَّان بلدة أغرم «نتلزضيت» بالمذهب الإباضي، وقد كانوا من قبل على الاعتزال.

وقد عدَّ تلاميذ الشيخ بالمئات ومن بلدان شَتَّى، ولعلَّ من أوائلهم: "زكرياء ويونس ابنا أبي زكرياء ".

ومن أبرزهم: ابنه "أبو العباس أحمد" و"أبو بكر بن يحيى"، و"يعقوب بن يعدل"، و"مصالة بن يحيى" و"أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي" الذي كان رديفه في سلسلة.

أول من ذكر من كتَّاب السير بأنَّ" لأبي عبد الله" تآليف هو" أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر"، في قوله: « وله في كلِّ فنٍّ تآليف كثيرة، وتبعه في هذه المقولة" الدرجيني" في طبقاته و"الشماخي" في السير فيقوله كذلك: « له في كل فنٍّ تآليف كثيرة، أكثرها في الحجج والبرهان، لأنَّه كان فيها ركن الأركان وله في الأخلاق حكم وأقوال، غير أنهم لم يوردوا لنا ولو عنوانا واحداً من كتبه، والناظر في التراث الإباضي من كتب السير والفقه والعقيدة، يجدها تعجُّ بآرائه وحكمه؛ ومن ثَمَّ يتَّضح لنا أنَّ "أبا عبد الله" لم يؤلِّف كتبا لقصد التأليف، وإنما جمع له تلامذته فتاويه وحكمه وأخذها عنهم المؤلِّفون لتُعرف فيما بعد بتأليف أبي عبد الله، وأشمل كتاب يجمع آراء الشيخ وعلمه هو: «كتاب التحف المخزونة» لتلميذه "سليمان بن يخلف"، (مخطوط) في جزأين. قال عنه" أبو محمَّد ماكسن بن الخير": مثل "أبي عبد الله "مثل من قال الله تعالى فيه: « هذا نذيرٌ من النُّذُر الأولى»، وقد أطنبت المصادر في ذكر صفاته الخلقية، وشهد له بعض معاصريه بالعلم والورع والشجاعة وغيرها من الصفات الحميدة، ومن ذلك ما قاله عنه "محمَّد بن أبي صالح النفوسي": «فيه خمس خصال قليلة في غيره من أهل العصر :عالم، ورع عابد سخي، شجاع، من ذروة نفوسة»[13].

وبذلك يمكن أن نلخص أهم المنجزات الفكرية والإصلاحية التي قام بها الشيخ "بن أبي بكر الفرسطائي" من خلال تأسيسه لحلقة العزابة، والتي شهدت انتشارا على مر الزمن وتوسعت لتشمل كل من ما يلي:

- **المهام التعبدية** وهي: الآذان، إمامة الصلاة، الإفتاء، تجهيز الموتى، تنظيم شؤون الحج، رعاية الأوقاف مراقبة المجازر وتعيين من يتولّى الذبح.

المهام التربوية:

- الإشراف على التعليم القرآنيّ في المحاضر والمدارس والمعاهد.
- الوعظ والإرشاد في المساجد والمناسبات.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- البراءة العلنية ممّن ثبت أنه ارتكب معصية أو فاحشة، أو خالف أوامر المسجد، أو تمرّد على الأعراف والنظم الاجتماعية، حتى يعلن توبته.
- تنظيم مجالس للنساء يتعلمن منها، ومن العالمات اللائي تخرجن على يديه أم البخت وأختها.

المهام الاجتماعية:

- تحديد المهور ووضع نظام الأعراس وطقوس العبور.
- الإشراف على مناسبات الأعراس والمآتم.
- محاربة الآفات الاجتماعية.
- الإشراف على مجالس المؤسّسات الاجتماعية، كمجالس العشائر.

المهام الاقتصادية:

- الإشراف على الأسواق ومراقبتها.
- محاربة الاحتكار والغشّ والإسراف.

- الإشراف على تصريف مياه الأمطار والأودية وتقسيمها.
- خرص التمر لمعرفة نصاب الزكاة.
- تشجيع وتوجيه ومراقبة الفلاحة والتجارة والصناعة والحرف التقليدية.

المهام الأمنية:

- الإشراف على الحراسة.
- إطفاء الفتن والمحافظة على السلم الاجتماعي.
- ردّ الاعتداءات التي قد يتعرّض لها الوطن مثل الاحتلال الفرنسيّ[14].

وقد اتبع الشيخ أسلوب الأسفار والتنقلات التي يتعرض فيها الطلبة للشدائد والمحن ويبلون البلاء الحسن، كما كان يعتمد على أسلوب فريد للإقناع والحجة وذلك بالاستعانة بالأمثال الواقعية للإفهام والتغيير، وقد حفِظت كتب السير الكثير منها.

وقد أجمعت المصادر على أن وفاته كانت في سنة 440هـ، وقبره يوجد في مقبرة أمام غار "بآجلو"، وقد ذكر "أبا زكرياء" أن "أبا الخطاب عبد السلام" نزل أريغ في سنة 441هـ، فوجد "أبا عبد الله" يحتضر وقد ذهب أصحاب المعجم بأن انفراد الشيخ "أبا زكرياء" بهذه المعلومة رغم قدمه، يجعلهم يرجحون كون التاريخ تصحيفا من بعض النساخ[15].

3-2- مؤلفاتـه: من أهم مؤلفات الشيخ: القسمة وأصول الأرضين، كتاب التوحيد، السيرة في الدماء والجروح، الجامع المعروف "بأبي مسألة"، كتاب الألواح الذي تركه في الألواح وغيره.

وقد تعددت الدراسات حول الشيخ "أبي عبدالله" ونظام العزابة من كتب ورسائل جامعية، فضلا عن الفصول المطولة في كتب التاريخ والسير، وقد ذكر أصحاب المعجم مجموعة من هذه المؤلفات وهي:

1- الإمام "أبو عبدالله محمد بن بكر"، للشيخ "أبي اليقظان إبراهيم" وهو لا يزال مخطوطا.
2- نظام العزابة بجربة، للدكتور الشيخ "فرحات الجعبيري".
3- نظام العزابة، للشيخ "متياز الحاج إبراهيم".
4- حلقة العزابة، للدكتور "محمد صالح ناصر".
5- نظام العزابة، للأستاذ "صالح سماوي".
6- النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في مرحلة الكتمان ، للدكتور "عوض خليفات"[16].

لقد كشف هذا البحث أن حلقة العزابة تعتبر نظاما اجتماعيا أصيلا، وضعه الإباضيَّة في بلاد المغرب في مطلع القرن الخامس الهجري، استجابة لمتطلبات ذلك العصر، وبديلا عن إمامة الظهور، تمَّكن نظام العزابة من الإشراف على مختلف شؤون الحياة في المجتمع دينيا، وسياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا واستطاع الإباضية بفضله المحافظة على وجودهم وكيانهم، رغم التحديات والاضطرابات والفتن، ولا يزال هذا النظام يؤدي أدواره رغم مرور عشرة قرون على تأسيسه.

وحسب النتائج التي توصلنا إليها فإن الشيخ الإمام "أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي" من المستفيدين من هذه الحركة العلمية التي بعثها نظام حلقة العزابة، وقد خلف تراثا نفيسا فاق الخمس والعشرين مؤلفا في مختلف العلوم والذي كان إسهامه فيه عزيزا، وبخاصة في المجال الفقهي ومرجع الناس في الفتوى بل مرجع المعاصرين له، كما تدل على ذلك الأخبار المروية عنه في كتب السير[17].

خاتمة:

ومما سبق يمكننا القول أن المنجزات الفكرية والإصلاحية للشيخ "أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي" في مجلس العزابة، كانت متعددة وشاملة وهذا إن دلَّ على شيء فإنا يدل على شمولية نظامه لمختلف النواحي الحياتية، كما أن هذا التنظيم يمثل مخبر ومجال عمل المجتمع الإباضي بدرجة كبيرة، لأن هدفه هو إنشاء مجتمع قوي مرن ومنسجم ومحافظ على بقائه واستمراره مسطر على مسالك الدين الإسلامي.

في الأخير نوصي بالبحث والتعريف عن أهم أعلام وشيوخ الجزائر، الذين كرسوا جهودهم في سبيل الجهاد في ميدان الدعوة والإصلاح والعمل الاجتماعي، والتربية والتعليم وتفسير القرآن الكريم، والوقوف على مناهجهم خاصة في التعامل مع القرآن الكريم درسا وتفسيرا، وكذا تقريب تراثهم المطبوع والمخطوط من الباحثين قصد دراسته وإبرازه وتجسيد مبدأ التواصل بين الأجيال.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1- معمر علي يحي، الإباضيَّة في موكب التاريخ ، محمد ناصر: حلقة العزَّابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، المطبعة العربية غرداية-الجزائر، مج 4 سنة 1985م.

2- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة، مادة (عزب)، مج 4، سنة (1399هـ/1979م)، ص310، ابن منظور: لسان العرب، مادة (عزب)، مج1، (د.ت).

3- محمد بن بشير أرشوم، الواضح في التاريخ الإسلامي، م تقنية الألوان، الجزائر، (د. ط) سنة 2001م.

4- أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط4، سنة (1416هـ 1995م).

5- محمد صالح ناصر، منهج الدّعوة عند الإباضية، نشر جمعية التّراث، القرارة الجزائر ط2، سنة 1419 هـ/ 1999 م.

6- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة، مادة (قصد)، تح: عبد السلام هارون، مج 5، دار الفكر، سنة (1399هـ/1979م).

7- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم أعلام الإباضيَّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان. مج2، ط 2، سنة (1421هـ/2000م).

8- معمر علي يحي، الإباضيَّة في موكب التاريخ، مج 2، (د.ط)، (د.ت).

9- عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مراجعة وتعليق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، مج 2، سنة 1411هـ/ 1991م.

10- محمد صالح ناصر، منهج الدّعوة عند الإباضية، نشر جمعية التّراث، القرارة الجزائر،ط2، سنة (1419هـ/ 1999م).

11- روبيرتو روبيناتشي، العزابة: حلقة الشيخ محمد بن بكر، تر: لميس الشجني، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية سلسلة أبحاث التاريخية، بسانت متيو كاليفورنيا، سنة 2006م.

المقالات:

12- محمد المريمي، خطاب الأقليات الدينية الشفوي والعيش المشترك في الإيالة التونسية العثمانية، مجلة عمران، العدد 3/10، سنة 2014.

الرسائل:

13- التربية والتعليم عند الإباضية بالمغرب الإسلامي بين القرنين الثالث الخامس هجريين (9-11م)، صلاح الدين شعباني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية-كلية التاريخ، جامعة الجزائر، 2004/2003.

المداخلات:

14- الشيخ ابراهيم بن محمد العلاقة، محاضرة: بين سكان جربة ووادي مزاب، الأيام الدراسية من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي إلى الشيخ حمو بن عيسى عمي سعيد مؤسسة الشيخ عمي سعيد –غرداية.

صفحات الكترونية:

15- مهنا بن راشد السعدي: الشيخ أبي عبدالله محمد بن بكر (مؤسس نظام العزابة)، صفحة: أشعة من الفكر الإباضي. www.istiqama.net

الهوامش:

[1]- معمر علي يحي، الإباضيَّة في موكب التاريخ، محمد ناصر: حلقة العزَّابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، المطبعة العربية غرداية-الجزائر، مج 4 سنة 1985م، ص 255.

[2]- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة، مادة (عزب)، مج 4، سنة (1399هـ/1979م)، ص 310، ابن منظور: لسان العرب، مادة (عزب)، مج1، (د.ت)، ص595.

[3]- محمد بن بشير أرشوم، الواضح في التاريخ الإسلامي، م تقنية الألوان-الجزائر، (د. ط) سنة 2001م، ص27.

* هو "أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف التمجاري الدرجيني الإباضي" [600/670 هـ -1204/ 1272م] ولد بمنطقة درجين السفلى بنفزاوة، عالم من علماء الشريعة، ومتكلم في قضايا العقيدة والإيمان على مذهب الإباضيّة، وله ولع بالتراجم وتقييد أخبار العلماء والأدباء واهتمّ بالشعر وغلب فن التاريخ على أغلب تصانيفه.

لم تهتّم كتب التاريخ والطبقات بوضع تاريخ محدد لولادته، وإنما بالاعتماد على ما ذكره من أنّه ارتحل في أوّل سن البلوغ إلى ورجلان وهي واحة توجد بجنوب الجزائر لطلب العلم، ينحدر من أسرة بربريّة كانت تسكن تمجار وسط جبل نفوسة بليبيا، كان والده من أوّل الشّيوخ الذين أخذ عنهم العلم والأدب، وفي ورجلان تلقّى علوم الدين وفقه الشريعة عن" أبي سهل يحيى بن إبراهيم 3أحد علمائها وأئمتها المشاهير.

[4]- أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط4، سنة (1416هـ 1995م)، ص302.

[5]- محمد صالح ناصر، منهج الدّعوة عند الإباضية، نشر جمعية التّراث، القرارة، الجزائر ط2، سنة 1419 هـ/ 1999 م، ص277.

[6]- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة، مادة (قصد)، تح: عبد السلام هارون، مج 5، دار الفكر، سنة (1399هـ/1979م)، ص 95.

[7]- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم أعلام الإباضيَّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، مج2، ط 2، سنة (1421هـ/2000م)، ص85.

[8]- معمر علي يحي، الإباضيَّة في موكب التاريخ، مج 2، (د.ط)، (د.ت)، ص44.

[9]- عز الدين عبد العزيز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مراجعة وتعليق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، مج 2، سنة 1411هـ/ 1991م، ص189.

[10]- محمد صالح ناصر، منهج الدّعوة عند الإباضية، نشر جمعية التّراث، القرارة الجزائر، ط2، سنة (1419هـ/ 1999م)، ص277.

[11]- روبيرتو روبيناتشي، العزابة: حلقة الشيخ محمد بن بكر، تر: لميس الشجني، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية سلسلة أبحاث التاريخية، بسانت متيو كاليفورنيا، سنة 2006م، ص 9-10.

[12]- الشيخ ابراهيم بن محمد العلاقة، محاضرة: بين سكان جربة ووادي مزاب، الأيام الدراسية من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي إلى الشيخ حمو بن عيسى عمي سعيد مؤسسة الشيخ عمي سعيد -غرداية، ص04.

[13]- محمد المريمي، خطاب الأقليات الدينية الشفوي والعيش المشترك في الإيالة التونسية العثمانية، مجلة عمران، العدد 3/10، سنة 2014، ص75.

[14]- روبيرتو روبيناتشي، العزابة: حلقة الشيخ محمد بن بكر، (م.س)، ص10.

[15]- محمد بن بشير أرشوم، الواضح في التاريخ الإسلامي، (م.س)، ص 30-30.

[16]- التربية والتعليم عند الإباضية بالمغرب الإسلامي بين القرنين الثالث الخامس هجريين (9-11م)، صلاح الدين شعباني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية-كلية التاريخ، جامعة الجزائر، 2004/2003، ص 122.

[17]- مهنا بن راشد السعدي: الشيخ أبي عبدالله محمد بن بكر (مؤسس نظام العزابة)، صفحة: أشعة من الفكر الإباضي. www.istiqama.net